

## الانسحاب من العراق... تنفيذ صعب ودور أممي مطلوب

هيلينا كوبان

الاتحاد الإماراتية 2007-6-17

هل تستطيع واشنطن أن تخلّص نفسها من ورطة العراق القاتلة بدون القيام بمراجعة جذرية لموقفها الشائك والمتفرد الذي وقفته من الأمم المتحدة، على مدى السنوات الخمس الماضية؟ لا أعتقد ذلك. والسبب أنه إذا كانت الولايات المتحدة ترغب في خفض حضورها العسكري في العراق، سواء كان ذلك جزئياً أم كلياً - مثلما أعتقد أنه ضروري- وبطريقة منظمة، فإنه ينبغي أن يتم إجراء مفاوضات بشأن هذا الانسحاب. والواقع أنه لا أحد غير الأمم المتحدة قادر على عقد هذه المفاوضات بنجاح وفعالية .

لقد تراجع كثيراً اليوم الدعم القوي الذي أبداه في السابق الجمهور الأمريكي لتدخل الولايات المتحدة العسكري في بلاد الرافدين؛ إذ يفيد استطلاع للرأي أجرته مؤخراً صحيفة "يو إس إي توداي" ومؤسسة "غالوب" أن 56 في المئة من الأميركيين يقولون إنهم لن يدعموا تشريعاً له علاقة بحرب العراق إلا إذا كان يتضمن جدولاً زمنياً لسحب القوات الأمريكية من هذا البلد .

والواقع أنه حتى وزير الخارجية الأسبق هنري كيسينجر غير موقفه. ففي أغسطس 2005، كتب كيسينجر في صحيفة "واشنطن بوست" يقول إن "الانتصار على التمرد هو استراتيجية الخروج الأساسية الوحيدة"، قبل أن يدعو في يناير من هذا العام إلى خروج متفاوض بشأنه للقوات الأمريكية بدون أي إشارة إلى كلمة "انتصار". إلى ذلك، أوضح كيسينجر في مقال آخر نُشر في صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" في الحادي والثلاثين من مايو المنصرم أن "أي انسحاب أميركي بشكل أحادي وسريع سيكون كارثياً؛ إلا أنه شدد مرة أخرى على أن "حلاً سياسياً يظل أمراً أساسياً" في العراق .

لقد دعوتُ لانسحاب عسكري متفاوض بشأنه من العراق منذ 2003. ذلك أن دراساتي الكثيرة (وتجربتي الشخصية) في مراقبة العديد من النزاعات خلال الثلاثين عاماً الماضية، جعلتني أفهم الطابع المعقد للدبلوماسية الضرورية لعقد هذه المفاوضات وهيكلتها .

ولذلك، فإنني أعتقد أن التوزيع الواسع للقوات الأمريكية عبر العراق، وهشاشة خطوط تموينها، يجعلان من مهمة إخراج الجنود والمعدات عبر المنفذ البحري الوحيد في الجنوب، القريب من إيران أمراً خطيراً، اللهم إلا إذا تم التوصل مسبقاً إلى اتفاق متعدد المستويات بخصوص صيغ وأشكال هذا التحريك الكبير للقوات. وهو ما يطرح السؤال التالي: ما هي الأطراف التي ينبغي أن تشارك في المفاوضات من أجل التوصل إلى هذا الاتفاق؟ إيران، بطبيعة الحال، إضافة إلى جميع جيران العراق الآخرين. وعلاوة على ذلك، ينبغي إشراك الأطراف العراقية المناسبة، على اعتبار أن المنظمات العسكرية والسياسية العراقية هي الوحيدة التي يمكنها أن تضمن خروج القوات الأمريكية بسلام، من معازل هذه المنظمات وعبر مناطق نفوذها .

هل يمكن للحكومة العراقية الحالية أن تكون متحدتاً باسم جميع العراقيين بهذا الخصوص؟ الحقيقة أنني لا أعتقد ذلك بالنظر إلى تراجع مكانتها ووضعها في أوساط المواطنين العراقيين، إضافة إلى مشاكلها المزمنة. ولذلك، يجب أيضاً إشراك الأحزاب والحركات العراقية الأخرى في المفاوضات .

ولكن، كيف يمكن عقد هذه المفاوضات بمستويها المطلوبين -الدولي والعراقي الداخلي؟ يعتقد كيسينجر ومؤلفو تقرير "مجموعة دراسة العراق"، وكثيرون غيرهم، في ما يبدو أن الولايات المتحدة قادرة على عقد المفاوضات اللازمة. ولكنني أختلف مع هذا الرأي؛ ذلك أن الولايات المتحدة نفسها طرف في النزاعات متعددة المستويات في العراق، وبالتالي فهي تفتقر إلى المصداقية الدبلوماسية والسياسية لإدارة هذه المفاوضات. ولهذا السبب، دعوت منذ 2004 إلى تبني مقاربة شبيهة بتلك التي استعملتها جنوب إفريقيا عندما واجهت تحدياً مماثلاً في ناميبيا في 1988-1989؛ أي طلب تدخل الأمم المتحدة .

أدركُ تماماً أن الأمم المتحدة تعاني العديد من المشاكل والعيوب التنظيمية. وعلاوة على ذلك، فإن الكثير من العراقيين لا يتقون من الأساس في المنظمة الدولية. بيد أنه لا توجد منظمة أخرى تتمتع بالشرعية العالمية،

والمصادقية السياسية، والقدرة المؤسسية التي تقتضيها هذه المهمة. وعليه، فإن أي انسحاب أميركي منظم من العراق يقتضي دوراً مركزياً من جانب الأمم المتحدة. كما يتطلب أمماً متحدة تتمتع بقوة أكبر من تلك التي نعرفها اليوم؛ وهو ما يقتضي التزام النظام السياسي الأميركي التزاماً حقيقياً تجاه كل من المنظمة الدولية وقيم العدالة العالمية التي تجسدها .

تشكل هذه المهام التحدي الرئيسي للولايات المتحدة خلال الأشهر المقبلة. والحقيقة أنه كلما أرجأ الجمهور الأميركي والزعماء الأميركيون التعاطي معها، كلما ازداد عدد الإصابات في العراق -في صفوف كل من العراقيين والقوات الأميركية- ناهيك عن الأخطار التي يطرحها المستنقع العراقي على الاستقرار الإقليمي والدولي .

هيلينا كوبان

كاتبة ومحللة سياسية أميركية

الاتحاد 2007/6/17

هيلينا كوبان